تفسير إبن كثير

أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ

ولهذا قال : (ألا الله الدين الخالص) أي : لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل الله ، وحده لا شريك له .وقال قتادة في قوله : (ألا الله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا االله . ثم أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى االله زلفى) أي : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم ، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ; ليشفعوا لهم عند االله في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أمر الدنيا ، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به .قال قتادة ، والسدي ، ومالك عن زيد بن أسلم ، وابن زيد : (إلا ليقربونا إلى االله زلفى) أي : ليشفعوا لنا ، ويقربونا عنده منزلة .ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم : " لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك

، تملكه وما ملك " . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات االله وسلامه عليهم أجمعين ، بردها والنهي عنها ، والدعوة إلى إفراد العبادة الله وحده لا شريك له ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن االله فيه ولا رضي به ، بل أبغضه ونهى عنه : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا االله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : 36] (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء : 25] .وأخبر أن الملائكة التي في السماوات من المقربين وغيرهم ، كلهم عبيد خاضعون الله ، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم ، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه ، (فلا تضربوا الله الأمثال) [النحل : 74] ، تعالى االله عن ذلك .وقوله : (إن االله يحكم بينهم) أي : يوم القيامة ، (في ما هم فيه يختلفون) أي : سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ، ويجزي كل عامل بعمله ، (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) [سبأ : 41 ، 40] . وقوله : (إن االله لا يهدي من هو

كاذب كفار) أي : لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على االله ، وقلبه كفار يجحد بآياته [وحججه] وبراهينه .